ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 07 العدد: 02(2022) ص309-322

التناسق المعرفي بين المتعلقات المعجمية وسماقة المعاني في "كتاب الروض الأنف للسهيلي "

Cognitive consistency between lexical attachments and semantics In his book Al-Rawd Al-Anf

د. عطية طيباوي

أستاذ محاضر بجامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)

Attiaatt34@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
26 جويلية 2021

تاريخ القبول:
29 اوت 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التناسق
- ✓ الروض الأنف
- ✓ المعجم

الملخص:

تميزت المدرسة الأندلسية بصبغة تجلت في علومها ومصنفاتها ومنهج علمائها ، وذلك من خلال خطة عرض المعارف ؛ مع الإحاطة والموسوعية وتوظيف مسلك النقد والتمحيص ، وهذا ما تحقق للإمام السهيلي الأندلسي في كتابه (الروض الأنف) ؛ الذي حوى في طيّاته متعلقات في فنون شتى ؛ من لغة ونحو ودلالة وبلاغة وتفسير وحديث وفقه وأصول ومواقيت وأنساب.....وقد استطاع الإمام السهيلي أن يوجد ذلك التناسق المعرفي بين هذه المتعلقات العلمية ، التي تراوحت بين أصول العلوم وبعض المعارف الجزئية المنسلة عنها ، وعرضها أثناء تسطير مؤلفه الذي وضعه لشرح أحد مصادر السيرة ؛ دون الإخلال بالمعاني المبتغاة .

Article info

Received
26 July 2021
Accepted
29 August 2021

Keywords:
- ✓ *Consistency*
- ✓ *Rawd nose*
- ✓ *lexicon*

Abstract :

The Andalusian school was mainly distinguished in its sciences, works, and approaches of its scholars, by the plan for displaying knowledge. With the briefing and encyclopedias and the employment of criticism and scrutiny.This is what was achieved by Imam Al-Suhaili Al-Andalusi in his book (Al-Rawd Al-Anf); Which contained in its folds belongings in the various arts; From language, grammar, semantics, interpretation, hadith and jurisprudence.Imam Al-Suhaili was able to find that consistency between these scientific miscellaneous, and presented them while he was writing his book to explain one of the sources of the biography.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

يستهل كل حصيف مبدأ سيره المعرفي بالعزيمة وترك عوارض التخمين ، مع إعداد العدّة وتسبيق التكلان، والإحاطة بجواهر العلوم وأمّاتها ، فالمشاركة في شتى الفنون النافعة بُغية إرادة المعالي ؛ من أعدل الأمور وأكملها .

والإمام السهيلي قد ناسبه الوصف بحسب النقلة وأهل التأريخ ، فقد شهدت له الكثرة من أصحاب التراجم بأنه حقق موسوعية دلّت على براعته وحذقه ، وألف في مختلف أشكال العلوم النقلية والعقلية التي امتازت بذوق أندلسي رائق ، باعد خصيصة تدوين النقول لمجرد الإحاطة ، بل انقاد إلى الإلمام الذي يعقبه نقد وتخليص وتمحيص ، وبناء الاختيار ، وهذا ما انكشف في مصنفه الروض الأنف ؛ الذي عني بموضوع السيرة وشرح أحد مصادرها .

ويشتهر لدى الكثير من الدارسين أنّ موضوع السيرة النبوية ؛ يختص بحياة النبي صلى الله عليه وسلّم ويومياته في السلم والحرب ، وتعامله مع أهله وصحابته والنّاس من حوله جميعا،وهذا مايتمّ قراءته وتدارسه في هذا المجال وهو مقصد صالح ، وأصلح منه ذلك التجديد أو خوض مسلك يغاير المألوف والمعتاد ؛ يظهر في إغناء ساحة السيرة بمتعلقات أخرى تبدو للناظر من وهلتها الأولى أن لا تناسق بين موضوعاتها ، لكن عند إعمال النظر والتفحص،تجد أن مجرى السيرة يحمل الكثير من العلوم ، فالرسول صلى الله عليه وسلّم هو المفسر لما خفي من معاني القرآن ، وهو مصدر الحديث والسنة،كما أنه المعلّم والمقرّ لأمور الفقه...إلى غير ذلك من الجوانب النقلية .بالإضافة إلى أن رحابة السيرة التي حملت مجالات عقلية من لغة العرب التخاطبية ، وبقية العلوم العقلية الأخرى الخادمة للمعرفة الشرعية .

ولعلّ من أهمّ أسباب اختيار هذا الموضوع وطرق حيّزه ؛ هو إغفال المصادر التراثية الأندلسية في أبحاثنا ودراساتنا من جهة ، ومن جهة أخرى أنّ لهذه المضان فوائد عميمة ؛ فضلا على أنّها تتصف بالسلاسة والمنهجية التي تُرسم في أوّلياتها ، والتي تكتسي في غالبها العام تميزا ومخالفة للمعهود ؛ ولكن في جانبه الإيجابي المتجلي في روح الإبداع والتجديد .

والتركيز على هذا الكتاب دون البقية الأخرى من مصنفاته ؛ يعود إلى أنّه من أجل تواليفه وأبدعها ، وقد تلقاه النّاس بالقبول ، قراءة ودارسة ، وشرحا وتفسيرا ..ومما زادني تعلقا بهذا الكتاب أيضا ؛ وصية أستاذنا محمد الهادي الحسني - خلال محاضرة السيرة - في الحثّ على مطالعته وإدامة النظر في نصوصه .

لقد سعى الإمام السهيلي من خلال هذا السّير ؛ إلى تجديد عرض السيرة بما لم يألفه أهل الفن ، فالمتلقي الذي كان يعرف كل علم في سياقه ومدارجه ودائرة تخصصه ، قد يحصّل ذلك في توجه واحد ، ظهر عن طريق هذه التشاركية المسبوكة ، وعدم التفريط في أي مدخل معرفي ؛ له تقاطع مع موضوع الكتاب ، ونعبر عنها في هذه الجزئية بالتضايف المتسق ، والتكامل المتناسق ، أي أنّ هذه العلوم أضيفت إلى موضوع الكتاب وهو السيرة ؛ وأضيفت هذه الأخيرة إلى بقية المعارف ؛ التي بدورها جادت بانتظام علوم شتى أثناء العرض .

الدراسات السابقة :

- المسائل النحوية والصرفية في كتاب الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي ، صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم ، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر 1993 .

- الروض الأنف في تفسير السّيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي ، دراسة صرفية ، رسالة ماجستير ، للباحث ممدوح شعبان محمد موسى، جامعة المنيا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 2011 .

- الروض الأنف في تفسير السّيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي ، دراسة نحوية ، رسالة دكتوراه ، للباحث ممدوح شعبان محمد موسى، جامعة المنيا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية . 2017 .

- الموضوعات النحوية في كتاب الروض الأنف ، يوخنا مرزا الخامس ، مقال بمجلة المورد العراقية ، 2007 .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- علوم القرآن عند الإمام السهيلي ؛ من خلال كتابه الروض الأنف ،للباحث عبد العزيز آيت مالك ، 2006 (موجود على شبكة الانترنيت) .

- الجهود الصوتية والدلالية عند السهيلي في الروض الأنف ، محمد رشاد محمد النجار ، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر 2015 .

- الإمام السهيلي وآراؤه البلاغية ، من خلال كتابه الروض الأنف ، صباح عبيد درار ، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر ، 2004 .

- السهيلي وكتابه الروض الأُنُف "دراسة نحوية صرفية "، رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية ، عثمان البشير بابكر الشريف ، مشرف: عبد الرحيم سفيان حامد.09/10/ 2019 م .

- أسرار التراكيب وحكمتها في الروض الأنف ، جاد الرب يوسف أحمد ، مقالة بمجلة كلية الآداب ، جامعة أسيوط 2001 .

- الروض الأنف للإمام السهيلي والقضايا الفقهية ، الهاشمي الراجي التهامي ، مقال بحوليات كلية الآداب ، جامعة القرويين 1991 .

- تصريف الأسماء ودلالتها عند السهيلي في كتابه الروض الأنف(دراسة صرفية دلالية) عثمان البشير بابكر الشريف ، عبد الرحيم سفيان حامد ، محمد علي أحمد عمر ، مقال بمجلة الدراسات اللّغوية والأدبية ، المجلد 20/ 2019 ؛ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

- الاحتجاج القرائي في فكر السهيلي، دراسة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، مصطفى أحمد محمد إسماعيل ،مقال بالمجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ، كلية اللغة العربية ، فرع جامعة الأزهر بالمنوفية ، 2020 .

إن أوجه الاتفاق بين هذه الدراسات هو إبراز الجوانب اللغوية والصرفية والبلاغية في كتاب الروض الأنف بصفة أخص ؛ وفي مصنفات الإمام السهيلي على وجه العموم ، مع التركيز على تلك الدلالات المعجمية .

غير أنّ ما اغفلته هذه البحوث – حسب تتبعي المتواضع – تلك الفروع الهامة ؛ المندرجة في مسالك المعجم مثل الإعجام والنقط بالإضافة إلى المتعلقات الشرعية كالأصول والتفسير ؛ التي تسهم في موسوعية و إحاطة هذا المصنف البديع .

الإشكالية:

إنّ الإشكالية العامة التي تطرح نفسها بعد هذا التوضيح ؛ عن مدى وجود علوم معرفية ضمن فصول السّيرة العطرة في كتاب الروض الأنف .وما هي كيفية وطرائق رصد المتعلقات المعرفية المتضايفة عند الإمام السهيلي ؟ وهل استطاع الإمام السهيلي أن يجمع ما تفرق في المصادر الأخرى ؛ داخل مؤلفه الذي اختصّ بمجال السّيرة فحسب ؟ .

المنهج المتبع :

وللإجابة عن الإشكالات السابقة ؛ يقتضي منا المقام توظيف المنهج الوصفي ثمّ التحليلي ، ذلك أنّ الأوّل يظهر في عرض النصوص والتعليق عليها ، أمّا الثاني فيفسر ويحلل تلك الدلالات التي هي في بعض السياقات حمّالة أوجه ، مع التدليل على ذلك ، وقد أدت هذه الصورة إلى تسطير الخطة المتبعة ؛ وإليك بيانها :

- مهاد وتقديم .

المبحث الأول : التعريف بالإمام السهيلي وكتابه الروض الأنف .

المبحث الثاني : منهج الإمام السهيلي في عرض الدلالة المعرفية .

المبحث الثالث : أثر المتعلقات المعرفية في تحقيق وتمحيص حوادث السيرة .

المبحث الرابع :أنواع المتعلقات المعرفية في كتاب الروض الأنف .

- خاتمة ونتائج مستخلصة .

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المبحث الأوّل: التعريف بالإمام السهيلي و كتابه الروض الأنف

يتوجب بدءا الوقوف على حياة الإمام السهيلي وبيئته ، ثمّ التعريف بمصنفه بإيجاز ، وذلك كي يتسنى الاطلاع على ظروف وأحوال هذا العَلَم ، مما يسهم في الوصول إلى نتائج وأحكام صنعته المعرفية.

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ(508 - 581 هـ): حافظ، عالم باللغة والسيّر، ضرير.ولد في مالقة، وعمي وعمره سبع عشرة سنة، ونبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش ، فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها.

من كتبه : "الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، ..و التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، والإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين ، ونتائج الفكر ، ومسألة رؤية الله تعالى في المنام، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة السر في عور الدجال ، ومسائل كثيرة مفيدة.. "(الزركلي، 2002، ج03،ص313-314).(ابن خلّكان ،1900 ،ج3 ص 143) . (القفطي ،1982، ج 2ص162، 163).

أما سبب تأليفه ووضعه لمؤلفه الروض الأنف ؛ فقد صرّح بقوله: " فإني قد انتحيت في هذا الإملاء ، بعد استخارة ذي الطول، والاستعانة بمن له القدرة والحول ؛ إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي ، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري النسابة ، مما بلغني علمه، ويسر لي فهمه، من لفظ غريب ، أو إعراب غامض، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته.."(السهيلي ، 1412، ج01، ص 32-33)(عبودي ،نصار،1418، ص129-130)

وهذا المصدر فيه "من فوائد العلوم ، والآداب ، وأسماء الرجال ، والأنساب ، ومن الفقه الباطن اللباب ، وتعليل النحو ، وصنعة الإعراب، ما هو مستخرج من: نيف على مائة وعشرين ديوانا ، أو نحوها.واختصره:عز الدين: محمد بن أبي بكر ، المعروف: بابن الجماعة ، وعليه حاشية لقاضي القضاة يحي المناوي..."(خليفة ، 1941، ج01، ص917)

وهو" كتاب تاريخ وعربية ، قال فيه الصلاح الصفدي: وهو كتاب جليل ، جوّد في ما شاء ، وقال الوزير القفطي: وتصنيفه في شرح سيرة ابن هشام يدل على فضله ونبله وعظمته وسعة علمه ، وإني لأنصح كل طالب علم باقتناء هذا الكتاب ومدارسته ، وإدامة النظر فيه ؛ لما حواه من فوائد في مختلف علوم العربية ، وبخاصة علم النحو ، فإن السهيلي رحمه الله ، قد مد فيه يداً ..."(الطناحي، 1985، ص 45).

وما زالت كتب التراجم تنقل حياة الإمام السهيلي، وقد أردنا أن نرى ذلك داخل المراجع الأندلسية ، فينقل صاحب كتاب تاريخ الفكر الأندلسي : " "كان عالما بالقراءات واللغات العربية ، وضروب الآداب ، حافظا للسّير والأخبار والأنساب ، إماما في الحفظ والذكر والإدراك ، مقدما في الفهم والفطنة والذكاء ، له حظ وافر من قرض الشعر ، والتصرف في فنون من العلم ، يغلب عليه علم العربية والغريب ، وأشهر كتبه الروض الأنف ، وهو أجل تواليفه ، دلّ به على سعة حفظه ومتانة علمه ...استخرجها مما نيف على مئة وعشرين ديوانا أو نحوها.."(بالنثيا ، 2006، ص 39، ص 449)

إنّ هذه المدونة تشع بمعارف وفنون شتى ، أفرزها عقل الإمام السهيلي وحفّزته على ذلك بيئته العلمية التي ما فتئت في تلك الفترة ؛ تدعم كلّ نظر معرفي وثقافي وتحثّ عليه .

المبحث الثاني . منهج الإمام السهيلي في عرض الدلالة المعرفية

اعتاد كلّ عالم أو مصنِف أن يرسم لنفسه نهجا يسير عليه ؛ في عرض مادته العلمية ، كي تكون نبراسا له ؛ يهتدي به ، إذ أن التصريح بالخطة والهدف ؛ يشعر الناظر بتحكم صاحبه ونظام مسالكه.

سعى الإمام السهيلي إلى " إعطاء الجانب اللغوي في أثناء شرح السيرة أولوية منقطعة النظير ، وذلك راجع إلى أنّ

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

السهيلي كان من المشهود لهم بطول الباع في العربية وغريب الألفاظ والنحو.. دفع هذا الاهتمام السهيلي إلى إعطاء القصائد والأبيات الشعرية الواردة في السيرة مكانة بارزة عند شرحه لها والتعليق عليها .. (عبودي، نصار، 1418، ص 131)

وقد أشرنا سابقا إلى تصريحه بمنهجه المتبع في الكتاب "...إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ... من لفظ غريب، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته...(السهيلي ،1412،ج01، ص 129-130)

ولقد أفاد وأجاد المعلق على كتاب الروض الأنف وواضع حواشيه ؛ حين قال :" يعرض السهيلي سيرة ابن هشام ، شارحا ما أبهم من كلمات ومعاني ، ويزيد أكثرها إيضاحا وبيانا ، ثمّ هو كثيرا ما يتعرض لنسب غامض فيزيل غموضه ، ثمّ نراه يتعرض لإعراب بعض الكلمات ؛ فيأتي بالدرر من أعماق اللغة ، واضعا إياها بين يديك بلا عناء أو مشقة. " (السهيلي، 2009، ج01، ص08)

كما عرف كتاب الروض الأنف بميزات هي :

" الشمولية والتوسع في عرض الرواية ، إذ لم يقتصر على شرح ألفاظها فقط ؛ بل كان يلمّ بكلّ تفاصيلها من حيث ورود آية قرآنية فيها فيقوم بتفسيرها ، أو مسألة فقهية ترد ضمنا فيها يقوم بإيضاحها ، مع تبيان لما يرد في السيرة من أحاديث نبوية ، فيقوم بايضاح مدى صحتها وقوتها وضعفها، مع تعريف بأنساب وأحساب الرجال ؛ الذين ترد أسماؤهم في الروايات ...وأيضا نبوغ شخصيته العلمية المستقلة وعدم التقليد الأعمى ؛ بالشرح لما ورد في المتن من ألفاظ ، سواء أكانت صحيحة أم سقيمة ، وكان هذا الترجيح في معاني الألفاظ.." (عبودي، نصار، ص 130- 131)

ولقد عدّد أحد الباحثين أهم العلوم التي بثّها الإمام السهيلي بين ثنايا كتابه الروض الأنف في مقال موسوم بـ : الموضوعات النحوية في كتاب الروض الأنف ، وقد تمثلت في: النحو ، اللغة ، الصرف ، العروض ، البلاغة ، الصوت ، وأعطى أمثلة على ذلك(يوخنا 2007، ص 48-75)

كانت هذه خطة سير الإمام السهيلي في كتابه الروض الأنف ؛ من ناحية إيراد الدلالات المعرفية التي هي المطلب والمبتغى في هذه المقالة ، وقد تلخصت عموما في التركيز على الجانب اللّغوي أي الدلالة اللغوية ومضامينها ومرادفاتها أحيانا ، بالإضافة إلى الجانب الصرفي باعتباره ميزان المفردة ، والجانب النّحوي فهو صاحب صنعة فيه ، كما أنّه يتقصى اللفظ المراد ما أمكنه ذلك ، من قرآن وحديث وفقه وأصول وبلاغة وأنساب ، وكلام عرب شعره ونثره ، وعلم المواقيت وغيرها ، سنفرد أهم ذلك في ما سيأتي من صفحات .

المبحث الثالث : أثر المتعلقات المعرفية في تحقيق وتمحيص حوادث السيرة

لزاما على الباحث أن يدرك مقام الإمام السهيلي وحاسته النقدية ؛ تجاه النصوص والأقاويل وأن أحكامه مأخوذة ومعتبرة عند أصحاب الصنعة ، ولندلل على ما ذهبنا إليه ؛ نشير إلى ذلك في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي وهو أحد مراجع السيرة ، فقد أورده في المرتبة الثانية بعد محمد بن إسحاق وهو يرتب المصادر ،كما ذكره الخزاعي ولمّح إلى مكانته حين قال ، وهو يضبط أحد المسائل وما جاء فيها من روايات : "... قال ابن جماعة في مختصر السير وهو المرجح عند الجمهور، ولم يصحّحه السهيليّ(الخزاعي، 1419،ص37)

كانت هذه فرشة دالة على اهتمام العلماء والمؤرخين بأقوال الإمام السهيلي ، ومدى تلك الاعتبارية ؛ سواء من حيث الموافقة أو عدمها ، أي ذلك الحضور اللافت ؛ الذي لم يكن اعتباطيا ،وإنّما عن مكانة نالها وافتكها عن اقتدار ودراية .

المطلب الأول: أثر المتعلق النحوي في تمحيص أقوال السّيرة

لقد ألفت رسائل حول الجانب النحوي عند الإمام السهيلي (ممدوح،2011)(ممدوح 2017) (عثمان 2019)، وتعرضت لتلك المسائل النحوية والصرفية ؛ غير

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أني أردت الوقوف على أثر هذا الجانب المعرفي في التمحيص والتجلية للحوادث ، وأنّ هناك عنصر ترابط وتنسيق بين هذه العلوم وعلم السّيرة .

أما النموذج المختار : فهو تحقيق الرجز التي تمثلت به هند :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

.." ..فيقال: إنها تمثلت بهذا الرجز، وإنّه لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية، قالته في حرب الفرس لإياد، فعلى هذا يكون إنشاده: بنات طارق ، بالنصب على الاختصاص، كما قال: نحن بني ضبة أصحاب الجمل ، وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع، لأنه خبر مبتدأ ، أي: نحن شريفات رفيعات كالنجوم، وهذا التأويل عندي بعيد، لأن طارقا وصف للنجم لطروقه، فلو أرادته لقالت: بنات الطارق إلا أني وجدت للزبير بن أبي بكر أنه قال في كتاب أنساب قريش؛ له أول هذا الرجز الذى قالته هند يوم أحد:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق... مشي القطا النواتق

إلى آخر الرجز، قال: وحدثني يحيى بن عبد الملك الهديري، قال:

جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد: نحن بنات طارق، فقالوا: ما طارق؟ فقلت: النجم، فالتفت الضحاك، فقال:

أبا زكريا، وكيف بذلك؟ فقلت: قال الله تبارك وتعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) } ، فإنها قالت: نحن بنات النجم، فقال: أحسنت" (السهيلي، 1412، ج05،ص 455-456)

وقد أوجز أبو شهبة ذلك بقوله : " قال السهيلي : قالته في حرب الفرس لأيّاد ، فعلى هذا يكون إنشاده نحن بنات طارق بالنصب على الاختصاص ، وان كانت أرادت النجم فبنات مرفوع خبر المبتدأ ، أي نحن شريفات رفيعات كالنجوم."(أبو شهبة ، 2003، ج02، ص192)

يدل هذا المثال على أهمية ودور الجانب النحوي في تحقيق الأقوال ، وبناء الاختيارات داخل نصوص السيرة العطرة وفيها من الحرص والتتبع على النقير والقطمير دون تمييز .

المطلب الثاني : أثر المتعلق المعجمي في تحقيق وترجيح قضايا السيرة

ونعني بهذا المتعلق دلالة اللفظ وما يحمله من اتساع لغوي ، واشتقاقي وصرفي ، وإملائي ، وقد جادت بعض البحوث الأكاديمية بتسليط الضوء على الجانب الدلالي ؛ مع قراءة وافية لذلك.

الفرع الأوّل : الجانب الدلالي اللغوي

ننقل في هذا الصدد دلالة اسمية ؛ تعلقت باسم ياسين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وذكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم في عروة بن مسعود حين قتل: " (مثله كمثل صاحب ياسين في قومه (النيسابوري، 1990، ج03، ص 713)، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم، كمثل صاحب ياسين ؛ أن يريد به المذكور في سورة ياسين، الذي قال لقومه {اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس:20] ، فقتله قومه، واسمه حبيب بن مري، ويحتمل أن يريد صاحب إلياس، وهو اليسع، فإن إلياس يقال في اسمه: ياسين أيضا، وقال الطبري: هو إلياس بن ياسين، وفيه قال الله تبارك وتعالى: {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} [الصافات:130] ، فالله أعلم: وقد بينا في التعريف والإعلام معنى إلياس وإلياسين وآل ياسين بيانا شافيا، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلياسين جمع كالأشعرين، وضعف قول من قال: إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم، فلينظر هنالك ". (السهيلي، 1412، ج07، ص 371-372)

يفضي هذا المثال على توجه الجانب الدلالي سواء كان اسما أو فعلا في تمحيص أقوال السيرة ، ومراجعتها بغية النأي بها عن ما يشوبها، مع الترجيح بين الأقاويل والآراء .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرع الثاني :الجانب الصوتي

من متعلقات الدلالة المعجمية الجانب الصوتي ، والذي يدرس مخارج الحروف وصفاتها ، فهو يدخل في بناء المفردة وقيامها ، وقد أفرد له العلماء فصولا داخل أحكام التجويد ، أو داخل الدرس الصوتي الحديث.(مصطفى، 2020 ، ص 177 -195)

وقد اخترنا في هذه العجالة أمثلة تفسر وجود المصطلح الصوتي في كتاب الروض الأنف ، منها مخارج الصوت ، والإطباق والتفخيم .

قال السهيلي :"..وعبد مناف اسمه: المغيرة- كما ذكر- وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة، أي: إنه مغير على الأعداء، أو مغير من أغار الحبل إذا أحكمه، ودخلته الهاء، كما دخلت في علامة ونسابة ؛ لأنهم قصدوا قصد الغاية، وأجروه مجرى الطامة والداهية، وكانت الهاء أولى بهذا المعنى ؛ لأن مخرجها غاية الصوت، ومنتهاه، .. "(السهيلي، 1412 ، ج01، ص 46)

بيّن السهيلي في هذا الموضع صفة حرف الهاء ومخرجه ضمن مفردة تعرض لها ، فجاء هذا التبيين لانتزاع فائدة أولفتة تجاه المعاني المتضمنة في هذا الاسم .

ومن الأمثلة أيضا : "..ومما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه، ولا تضيفه إليها... وفخمت اللام من اسمه- وإن كانت لا تفخم لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق، ولا تفخم لام في شئ من أسمائه، ولا شئ من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية ..."يسلّم هذا النموذج إلى قضية أخرى صوتية وهي : التفخيم والإطباق ، بالإضافة إلى الاستثناء في الاستعمال ، وهذه إشارة إلى إحكام السهيلي علم الأصوات والنطق.

الفرع الثالث : الاشتقاق

مبحث الاشتقاق من أجلّ المباحث في فقه اللغة ، وهو منزع به يزكو الوعاء اللغوي ، ويمنح العربية إغناء لا تعرفه اللغات الأخرى ، ومن الأمثلة الشاهدة على ثراء اللغة ومدى اتساعها مانقله الإمام السهيلي في كلمة مفازة .

" المفاوز: جمع مفازة، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال، روي عن الأصمعي أنها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة، ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال: سألت أبا المكارم: لم سميت الفلاة مفازة ؟ فقال: لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز ، وقال بعضهم: معناها مهلكة ، لأنه يقال: فاز الرجل، وفوز وفاد وفطس: إذا هلك ". (السهيلي، 1412، ج 02، ص 120)

فهذه المفردة دار حولها أقوال ثلاثة ، رغم بساطتها وتناولها في الشعر والنثر ، إلاّ أنّ السهيلي لم يُفوت ذلك وأظهر غناها وما انسل منها من معان ودلالات .

الفرع الرابع : الإعجام والتنقيط والكتابة

ومن أمثلة هذه الجزئية على فائدتها وتاثيرها ، ننقل هذه اللفتة المنتقاة التي ظفر بها قلم الإمام السهيلي :

وهي هذا اللفظ بصوره :يغذيه أو يغديه أو يعذبه :وورد هذا المثال في ذكر قول حليمة: " وليس في شارفنا ما يغديه. وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة، وهو أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يعذبه بعين مهملة وذال منقوطة ؛ وباء معجمة بواحدة، ومعناها عندهم: ما يقنعه حتى يرفع رأسه، وينقطع عن الرضاع، يقال منه: عذبته وأعذبته: إذا قطعته عن الشرب ونحوه، والعذوب: الرافع رأسه عن الماء، وجمعه: عذوب بالضم، ولا يعرف فعول جمع على فعول غيره قاله أبو عبيد ، والذي في الأصل أصح في المعنى والنقل"(السهيلي، 1412، ج 02، ص 164،165).

إن الإعجام والنقط لم يغب في موسوعة الروض الأنف ، حيث جاءت هذه الجزئية تحمل إعجاز اللغة العربية وكيف تتغير المعاني لمجرد النقط ، لذلك أفردته بعض المصادر القديمة والمراجع الحديثة .

كما أن للكتابة نصيبا في اجتهادات الإمام السهيلي مثل همزة الوصل وغيرها ، فلتراجع في أبوابها لمن أراد الاستزادة .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرع الخامس :تشاركية الدلالات المعرفية في أنموذج واحد

ويظهر هذا التشارك والتكامل بين علوم شتى حملها المعجم ، فجاء الإمام السهيلي وسلّط عليها ذلك الربط الدقيق المنسجم ؛ الذي لا نشاز فيه ولا مصادرة عن المطلوب ، وذلك بين : البلاغة ، والنحو و الصرف والدلالة ، والمشترك اللفظي، والمواقيت ، والفقه ...فتأمل ذلك ،وإن أردت استقصاء المثال فقد أشرنا إلى محلّه .

ومثال ما أشرنا إليه : دلالة السنة والعام

"وقال: سنين، ولم يقل أعواما، والسنة والعام، وإن اتسعت العرب فيهما، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا، ولكن بينهما في حكم **البلاغة** والعلم بتنزيل الكلام فرقا، فخذه أولا من **الاشتقاق**، فإن السنة من سنا يسنو إذا دار حول البئر، والدابة: هي السانية، فكذلك السنة دورة من دورات الشمس، وقد تسمى السنة: دارا، ففي الخبر: إن بين آدم ونوح ألف دار، أي: ألف سنة، هذا أصل الاسم، ومن ثم قالوا: أكلتهم السنة، فسموا شدة القحط سنة، ... ومن ثم قيل: أسنت القوم إذا أقحطوا، وكأن وزنه أفعتوا، لا أفعلوا، كذلك قال بعضهم، وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو، فهي عنده:

أفعلوا، لأن الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف، وحساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون، ... غير أنه قال: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ } [يوسف: 49] ، ولم يقل: سنة ؛ عدولا عن **اللفظ المشترك**، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة ...والزيادة على العام مشكوك فيها، لا تقتضيها الرؤيا، فحكم بالأقل، وترك ما يقع فيه الشك من الزيادة على العام، فهاتان فائدتان في **اللفظ بالعام** في هذا الموطن، ... وفائدة أخرى: أنه خبر عن السن، والسن معتبر بالسنين، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية، لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف، حتى قيل ربعي للبكير وصيفي للمؤخر، قال الراجز:

إن بني صبية صيفيون ... أفلح من كان له ربعيون

فاستعمله في الآدميين، فلما قيل في الفصيل ونحوه: ابن سنة وابن سنتين، قيل ذلك في الآدميين، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا، ... وقوله سبحانه في قصة نوح: { فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } [العنكبوت: 14] ؛ قيل: إنما ذكر أولا السنين؛ لأنه كان في شدائد ؛ مدته كلها إلا خمسين عاما منذ جاءه الفرج، وأتاه الغوث، ويجوز أن يكون الله- سبحانه- علم أن عمره كان ألفا، إلا أن الخمسين منها، كانت أعواما، فيكون عمره ألف سنة، ...، فاللفظ موافق لهذا المعنى، وإلا ففي القول الأول مقنع، والله أعلم بما أراد، فتأمل هذا، فإن العلم بتنزيل الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن، وابن هذا الأصل تعرف المعنى في قوله تعالى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: 4] وقوله تعالى: { وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: 47]، وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام، كما تقدم، فلفظها أليق بهذا المقام ".(السهيلي ، 1412، ج03،ص 174-177)

هذا المثال جمع فأوعى وصوّر فأغنى ، فمن فضل العربية واقتدار الإمام السهيلي جعله يستخرج تلك المعاني المتباعدة في الذهن ، وفي المصادر فجاد بها وقدّمها للبعيد عن هذه الأصول .

المبحث الرابع : أنواع المتعلقات المعرفية في كتاب الروض الأنف

عرف الإمام السهيلي بالموسوعية والاستقصاء ، كما أنّه أعطى صورة عن تكاملية المعارف عند العالِم ، حيث أن تنوع المدارك يوسع من أفق المؤلف ويصوّب مسائله وأحكامه .

وقد أشارت بعض المصادر إلى هذا الثراء العلمي بقوله : "كان السهيلي واسع المعرفة ،غزير العلم نحويا متقدما لغويا، عالما بالتفسير وصناعة الحديث ، عارفا بالرجال والأنساب ،عارفا بعلم الكلام وأصول الفقه ، حافظا للتاريخ القديم والحديث ذكيا نبيها ، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة .. " (الذهبي، 1998، ج04، ص 96)

لقد تعددت متعلقات العلوم وأعني بها الشرعية أو الخادمة لها ، الأمر الذي يشي بهذه العقلية الفذّة ، التي لم تترك علما

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلا وضربت فيه بسهم ، فلم يعد كتاب الروض الأنف مؤلف سيرة فحسب ؛ بل في القرآن والحديث والفقه واللغة والبلاغة والأصول والمواقيت ، وقد اخترنا نماذج تطبيقية لما أشرنا إليه آنفا ؛ وإليك بيانها .

المطلب الأوّل : المتعلق الفقهي

إن ورود أسماء أئمة الفقه في ثنايا المسائل دليل على التوسع المعرفي الفقهي ، الذي يطلق عليه الفقه المقارن ، أي بين أئمة المذاهب الفقهية ومنهم : أبوحنيفة ومالك والأوزاعي ، والشافعي، وأحمد والليث....

اخترنا في هذا المبحث لفظ الصلاة ، باعتبارها الشعيرة المعروفة ، كما أنّ هذا المثال حوى ما جاء في المنهج الذي سار عليه الإمام السهيلي بوضوح ، دون الغوص في عمق الدلالة الصرفية فهناك من الباحثين من تصدى لذلك وتعمق بمقارنة ما جاء في المعاجم والمصادر.(عثمان، 2019، ص 120 - 123)

"الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصلوين ، وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صلى عليه، أي: انحنى عليه، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة، إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صلى الله على محمد، هو أرق وأبلغ من قولك: رحم الله محمدا في الحنو والعطف ، والصلاة أصلها في المحسوسات ؛ عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا كما قال الشاعر:

فما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل: صليت على الميت ، أي: دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه.

ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق: لا تقول: صليت على العدو، أي: دعوت عليه. إنما يقال: صليت عليه في معنى الحنو والرحمة والعطف ؛ لأنها في الأصل انعطاف، ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى، فتقول: صليت عليه، أي: حنوت عليه، ولا تقول في الدعاء إلا: دعوت له، فتعدي الفعل باللام، إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء، وأهل اللغة لم يفرقوا، ولكن قالوا: الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا، ولم يفرقوا بين حال وحال، ولا ذكروا التعدى باللام، ولا بعلى، ولابد من تقييد العبارة، لما ذكرناه،وقد يكون الحدب أيضا مستعملا في معنى المخالفة إذا قرن بالقعس كقول الشاعر: وإن حدبوا، فاقعس وإن هم تقاعسوا لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب "(السهيلي، 1412، ج03، ص 49-51)

يظهر لنا هذا المثال تتبع وتحري الإمام السهيلي للفظ الصلاة ما ورد في أمهات المعاجم ، إلا أنه لم يكن ناقلا مجردا بل دارسا ومراجعا ومدققا ، حيث ردّ هنا على أهل اللغة الذين لم يفرقوا بين الصلاة والدعاء كما أوردته القواميس ، ذلك أنهم لم يفرقوا بين حال وحال وسياق وسياق ، فكان للإمام السهيلي اختياره وقناعته مع تعليل دقيق ورصين .

المطلب الثاني :المتعلق الحديثي

الحديث النبوي هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وله مكانته في هذا السّفر ، ذلك أن السيرة هي سنة النبي صلى الله عليه وسلّم وقد حوت أقواله وأفعاله وتقريراته ، وقد اخترنا نموذجا للتمثيل والشرح، وهو الفأل والطيرة.

قال السهيلي:" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل، ولا يعتاف، يفتال يفتعل من العيافة، وظاهر كلامه أن العيافة في المكروه خاصة ، والفأل في المحبوب، وقد يكون فى المكروه ، والطيرة تكون فى المحبوب والمكروه. وفي الحديث أنه نهى عن الطيرة، وقال: خيرها الفأل(البخاري، 1987 ، ج05، ص 2171)، فدل على أنها تكون على وجوه ؛ والفأل خيرها ، ولفظها يعطي أنها تكون في الخير والشر، لأنها من الطير، تقول العرب: جرى له الطائر بخير، وجرى له بشر، وفي التنزيل: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } [الإسراء:13] ".(السهيلي، 1412 ، ج05،ص 452)

ركّز الإمام السهيلي على الدّلالة اللّغوية غي هذ الحديث ؛ الفأل و الطيرة ، وبيّن أنّ ما يتبادر إلى الذهن ليس هو المعنى المراد فقط ، بل ذلك يعطي أنّ اللفظ قد يكون للسلب وقد يكون للإيجاب ، ومن ذلك لفظة الطائر قد يوجه حسب السياق ، ودعم هذا بأقوال العرب وقبلها القرآن الكريم .

وقبل ختم هذه الفرع الحديثي لابد من الإشارة إلى أنّ الصناعة

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الحديثية حاضرة في النصوص الواردة ، ولا أدل على ذلك من مصطلحات العلل والأسانيد والضعف، ليس هذا الموضع لبسطها والتعليق عليها .

المطلب الثالث : المتعلق التفسيري

لا يمكن للإنسان أن يلج إلى ساحة التفسير إلّا إذا حصّل الأدوات والوسائل التي حدّدها علماء القرآن الكريم ، ومن هذه الأخيرة الإلمام بعلوم اللّغة والنحو والصرف وكلام العرب ، والناسخ والمنسوخ ....

وما من ريب أن الإمام السهيلي قد ألمّ بذلك وهو ظاهر في مصنفه ، بل هو من المُقَعدين لبعض هذه العلوم ، ومن الأمثلة الواردة في الجانب التفسيري :

الفرع الأوّل :لفظ الورود

ومن الأمثلة التي وقع عليها الاختيار ؛ الآية الواردة في سورة مريم {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} قال الإمام السهيلي :"ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رواحة ؛ حين ذكر قول الله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم 71]: فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال، منها أن الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص، واحتج قائلو هذه المقالة بقراءة ابن عباس: وإن منهم إلا واردها ، وقالت طائفة: الورود ههنا هو : الإشراف عليها ومعاينتها.

وحكوا عن العرب: وردت الماء، فلم أشرب. وقالت طائفة: الورود ههنا هو المرور على الصراط، لأنه على متن جهنم أعاذنا الله منها، وروي أن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين فيها، ثم ينادي مناد: خذي أصحابك ودعي أصحابي ، وقالت طائفة: الورود أن يأخذ العبد بحظ منها، وقد يكون ذلك في الدنيا بالحميات، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الحمى كير من جهنم، وهو حظ كل مؤمن من النار." (ابن حنبل، 2001، ج36، ص 608) (السهيلي، 1412، ج07،ص 31-32)

يلحظ القارئ أن السهيلي لا يمرّ مرور الكرام على الآية القرآنية وأن لا يفسرها تفسيرا ظاهريا ، بل إنّه يطلب العدّة من القرآن الكريم ،أوما يُسند مذهبه من تفسير نبوي له ، أو من كلام العرب ، حيث قال في هذا المقام وحكوا عن العرب ؛كما هو الأمر في هذا المثال عن الورود ، مع تعزيز ذلك في الأغلب بعلوم عقلية أخرى. ومن ذلك تفسيره : {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ }[العلق:17]

الفرع الثاني : لفظ النادي

وتبعا لهذا المتعلق التفسيري ، نأخذ نموذجا آخر على وجازته.

قال الإمام السهيلي :" النادي والندي والمنتدى بمعنى واحد، وهو: مجلس القوم الذين يتنادون إليه، وقال أهل **التفسير** فيه أقوالا متقاربة، قال بعضهم: فليدع حيه، وقال بعضهم: عشيرته، وقال بعضهم: مجلسه...."(السهيلي، 1412 ، ج03، ص 156)

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا النموذج الاستقصاء والاطلاع على أقوال المفسرين مع المقارنة والحكم عليها ، وقد عبر عن ذلك وقال أهل التفسير فيه أقوالا متقاربة.

المطلب الرابع : متعلق القراءات

إنّ المتبحر في معرفة القرآن وعلومه وكشف أحكامه ونكته ؛ لا يمكن أن يغفل أمر القراءات ،ذلك أن تعدد هذه الأخيرة فيه من الأهمية والفوائد ، ومنه أن قراءة قد تفسر قراءة أخرى ، بالإضافة إلى التنوع الذي جعل تعدد الأقوال والمذاهب وخاصة عند أهل الفقه وأهل اللغة ، مما ينتج عنه سعة وثراء ، ومن نماذج متعلق القراءات :

الفرع الأول : الروايات القرآنية

جاء في الروض الأنف :" ..فقد جاء ما هو أبلغ في الحذف من هذا، وهي قراءة قنبل: يا بني ببقاء ياء التصغير وحدها، وأما قراءة حفص يا بني فإنما هي ياء التصغير مع ياء المتكلم ، ولام الفعل محذوفة، فكان وزنه فعي ومن كسر الياء: قال يا بني فوزنه: يا فعيل، وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة "(السهيلي، 1412 ، ج01،ص 48) .

ذكر الإمام السهيلي في هذا النموذج رواية قنبل وأعطى توجيهها ، ثمّ رواية حفص وتوجيهها الصّرفي .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرع الثاني : القراءات القرآنية

ومن الأمثلة في هذا الباب أيضا :" ..قوله صلى الله عليه وسلّم : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا ؟! فأنزل الله تعالى: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ} [المسد: 1]، وقد تب .(البخاري، 1987،ج04،ص 1902)

هكذا قرأ مجاهد والأعمش، وهي- والله أعلم- قراءة مأخوذة عن ابن مسعود، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير ، قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، فسرت أنه خبر من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال تعالى: { قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [التوبة:30] . أي: إنهم أهل أن يقال لهم هذا، فتبت يدا أبي لهب، ليس من باب: قاتلهم الله، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله. "(السهيلي، 1412 ، ج03، ص 296-298)

مما هو معروف لدى أهل هذا الفنّ أن تعدد القراءات يحمل القراء على توجيهها ، وهذا ما يعود بالفائدة والأثر على الدرس اللغوي ، كما يدل هذا الشاهد على تبحر الإمام السهيلي في علم القراءات ، أي القراءة والرواية التي هي تبع لها وذلك مثل :رواية قنبل عن الإمام ابن كثير ، وهي قراءة سبعية .

كما يلجأ إلى القراءات الأخرى ، مثلما استشهد هنا بقراءة ابن مسعود ، وأيضا قراءة الأعمش ؛ التي هي في مرتبة القراءة الشاذّة ، وقد أجاز بعض العلماء الاستعانة بالقراءات الشاذة في القواعد الصرفية والنحوية...

المطلب الخامس : المتعلق الأصولي

من المزايا التي جادت بها هذه الموسوعة أنها وجدت مكانا لعلم الأصول الذي هو علم بالقواعد التي يتوصّل بها إلى الحكم ، فمعرفة الأصول بالضرورة معرفة بمسائل الفقه وأحكامه ، وفي هذا المسلك الأصولي من الأدلّة ما هو متفق عليه ، ومنها ماهو مختلف فيه .

الفرع الأوّل : الإجماع

ومن أبواب الأصول التي وظّفها السهيلي باب الاجماع :

حيث قال : .."قول الخطابي: أجمعت الأمة على أن المضطجع لا يصلي في حال الصحة نافلة ولا غيرها ، وافقه أبو عمر على ادعاء الإجماع في هذه المسألة ، وليست بمسألة إجماع كما زعما، بل كان من السلف من يجيز للصحيح أن يتنفل مضطجعا، منهم الحسن البصري، ذكر ذلك أبو عيسى الترمذي في مصنفه.. "(السهيلي، 1412، ج05،ص 50)

الفرع الثاني : القياس

أما المبحث الآخر وهو القياس وقد تنافست فيه الأنظار والعقول .

نقل الإمام السهيلي :" ...لقول النبي عليه السلام «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من صاحبه، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»(البخاري، 1987، ج 05، ص 2555) ، ففي هذا الحديث مع الذي تقدم رد لمذهبه، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين: أحدهما: أن أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني: أنه قال من حق أخيه، ولم يقل من مال أخيه، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها.. "(السهيلي، 1412، ج03،ص 464-465).

الفرع الثالث : سدّ الذرائع

ومن المباحث الأصولية الأخرى سد الذرائع:

نقل السهيلي ".. وذكر قول أبي جهل لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك ، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام:108] . وهذه الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سببا إلى سبهم الباري- سبحانه- نهى عن سب آلهتهم، فكذلك ما يخاف منه الذريعة إلى الربا، ينبغي الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام، ومنها ما يبعد ، فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الذريعة إلى الحرام أصلا، ولا كره شيئا من البيوع التي تتقى فيها الذريعة إلى الربا.. "(السهيلي، 1412، ج03،ص314)

الفرع الرابع: العموم والخصوص

ومن النصوص الواردة عند الإمام السهيلي مسألة :العموم والخصوص

جاء في الروض الأنف : .."فقال عز وجل: { فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} [الممتحنة:10].هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهري، فإنه قال في الحديث: أن لا يأتيه أحد، وأحد يتضمن الرجال والنساء، والأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ، على أن بعض حذاق الأصوليين قد قال في العموم: إذا عمل بمقتضاه في عصر النبي- صلى الله عليه وسلم- واعتقد فيه العموم، ثم ورد التخصيص فهو نسخ، وهو قول حسن، وفي رواية أخرى أن لا يأتيه رجل.. "(السهيلي، 1412، ج06، ص 484).

هذه بعض المتعلقات الأصولية التي تنبأ عن مدى إحاطة هذه الموسوعة بمباحث قيّمة وضعها علماء الإسلام ، فجاء الإمام السهيلي وقدّمها لقارئ السيرة دون عناء هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ذلك التماسك بين هذه العلوم وانسجامها في هذا المصنف ، بل داخل نص واحد أحيانا ، وهذا من مُكنة الإمام السهيلي وألمعيته .

المطلب السّادس : المتعلق البلاغي

أنقل في هذا المتعلق بعض العبارات الدّالة على فن البلاغة المبثوثة في صفحات الروض الأنف ، وعلى الإسهام الذي أمدّه الإمام السهيلي في هذا الجانب :"(..حتى يلتئما في قانون البلاغة، ويتشا كلا في حكم الفصاحة..)(..فتقييد الألفاظ هو: معنى الكلام، وتنزيل كل لفظ في موضعه، هو معنى البلاغة فافهمه)(وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة..)(..ولابد في حكمة في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازله..)(.. فهذا حكم البلاغة، ومساق الفصاحة فافهمه..) " .

(السهيلي، 1412، ج03، ص 146- 191 -410/ ج06،ص 482)

الفرع الأوّل: المجاز

هذه الإشارة التي بسطناها في بداية هذا الفرع من حيث اللفظ والمسمى ، أما ما تعلق بالتدليل فنتخذ **المجاز** مثالا لذلك ، فهو من المتعلقات التي يتجاذبها أكثر من علم ، فقضية المجاز التي أخذت جزءا من الاختلاف ، قد وردت في أبواب اللّغة وفي مباحث علم الأصول وتترتب في مسالك البلاغة .

والإمام السهيلي قد عرض لها في كتابه ، وعلّق عليها من خلال ورود هذا الأنموذج .

ورد في الروض الأنف قوله تعالى: " { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [الأحزاب:10]، وبلغت القلوب الحناجر والقلب لا ينتقل من موضعه، ولو انتقل إلى الحنجرة لمات صاحبه، والله سبحانه لا يقول إلا الحق، ففي هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة، فهو حق إذا فهم المخاطب عنك، وهذا كقوله تعالى: {يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ} [الكهف:77]، أي مثله كمثل من يريد أن يفعل الفعل، ويهم به، فهو من مجاز التشبيه، وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر؛ كمثل المنخلع قلبه من موضعه.

وقيل: هو على حذف المضاف، تقديره: بلغ وجيف القلوب الحناجر. وأما قوله: { إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ }[غافر:18]. فلا معنى لحمله على المجاز، لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشد مما تقدم، لا سيما وقد قال في أخرى: { لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ } [إبراهيم:43].أي قد فارق القلب الفؤاد، وبقي فارغا هواء، وفي هذا دليل على أن القلب غير الفؤاد، كأن الفؤاد هو غلاف القلب، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل اليمن:ألين قلوبا وأرق أفئدة (مسلم، 90، ج01،ص 71)، مع قوله تعالى: { فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ } [الزمر: 22] ،ولم يقل للقاسية أفئدتهم، والقسوة ضد اللين، فتأمله "(السهيلي ، 1412 ، ج06، 338-339).

كانت هذه بعض الإفادات التي أرفد بها الإمام السهيلي الدرس البلاغي ؛ في قراءة متأنية حشد لها تلك النصوص القرآنية والنبوية وتوظيف ذلك للإقناع والمحاججة .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرع الثاني: العدول

بعدما عرّجنا على مبحث المجاز وتبعاته ، ننتقل في هذا المثال إلى صورة بلاغية أخرى ، أفردها الدرس البلاغي، وهي ظاهرة العدول.

قال السهيلي :"اللحن العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف "(السهيلي، 1412، ج06، ص 312).

العدول من مترادفات اللّحن وهذا النموذج في مستواه الإيجابي يحقق نزعة جمالية ، وليس كل عدول يحقق ذلك ، فالشطر الأول يشكل في كنهه حقيقة بلاغية ، أمّا الثاني فهو عمل معجمي بحت أي تعريف ، وهذا الخروج أراد به الإمام السهيلي غاية جمالية إبداعية .

بالإضافة لما قدمنا من متعلقات معرفية ؛ ما زال الفكر الموسوعي للإمام السهيلي ينهمر بأصول العلوم ومسالكها ، ومن ذلك اللغات الواردة في شروح السهيلي وغيرها ؛ التي تحتاج إلى قراءة واهتمام من طرف الباحثين ، وخاصة من لهم ميل إلى قراءة التراث ونقده .

خاتمة :

لقد دأبت المعرفة الأندلسية على أن تصبغ سياقاتها بجودة العرض ورونق التسلسل وجمالية السبك ، فكانت هذه الإطلالة على رائعة الإمام السهيلي (الروض الأنف) ، حيث جاء هذا البسط العلمي على نهج أسلافه منطبعا بالتميز والتفرد ؛ حتى وإن كان شارحا ومفسرا لغيره .

إنّ هذا المصنف قد ألمّ بين مباحثه وفصوله علوما ومعارف تراوحت بين منقول أثر ومعقول نظر ، يجد الدارس بين سطور هذه المعرفة علم العربية من دلالة وصرف ونحو وبلاغة ، ويستشف المبحر في قضايا الفقه ما يعينه على اقتناص الأمثلة التي توصف بالشحّ ؛ بالإضافة إلى مباحث الإجماع والقياس والعموم والخصوص وبقية المندرجات التبعية الأخرى مثل سد الذرائع وغيرها .... وكلّ ذلك مرورا بالفقه ورحابة ساحته .

كما لا يمكن إغفال الدلالة اللغوية وسعة مضامينها ؛ ذلك أنّها هي المدار والأساس مع إعمال طابع الموسوعية والشمول في كل المضامين والذي عبرنا عنه بتناسق المعارف .

وما من شك أن العرض العلمي المتسم بالموسوعية يسلّم إلى أهداف المبنى والمعنى .

فأما المبنى فيظهر في التخفيف من تشتت الذهن الذي عادة ما ينفلت من التركيز على جهة معينة فيأتي هذا التنوع المعارفي ليبدد من ذلك ، وهذه سمات الدرس الحديث .

كما أنّ هذا التوجه يكسبنا تلخيصا ودراية بالعلوم الإسلامية التي تخدم بعضها بعضا ، وتخليصها من الأقاويل المتشابهة التي لا سياق لها في هذا الجانب ، فيكتفي المطالع في هذا السفر الاطلاع على فنون توزعت في مصنفات أخرى ؛ وخاصة لغير الموغلين في المعرفة الشرعية.

أما المعنى فيتجلى في إكساب الدّارس تلك المجالات الإدراكية من خلال التعرض لهذه الموسوعة قراءة أو شرحا أوتلقيا .

لقد جادت عبقرية الإمام السهيلي بمعارف عرضنا منها : الدلالة المعجمية وما حملته من توسع ، ثمّ علوم الحديث والتفسير وأصول الفقه ومباحثه كالإجماع والقياس والعموم والخصوص، والقراءات المتواتر منها والشّاذ، والإعجام والنقط ،بالإضافة إلى مباحث أخرى كالمجاز والعدول ... تصلح لأن يكون كل متعلق منها بحثا أو رسالة علمية ؛ تفرد بالدراسة والتعليق والمقارنة .

إنّ هذا النمط الموسوعي الذي اتصف به كتاب الروض الأنف ، يُرشدنا إلى ذلك التراكم المعرفي المهذّب ، الذي يُقرّب إلى حيّزه ما كثر نفعه ، واقتضت معرفته ، ومن أهم الأبحاث التي تولّدت عن هذا التتبع والتقصي نذكر ما يلي :

الدلالة المعجمية في كتاب الروض الأنف (على الرغم من وجود بعض الاجتهادات إلاّ أنّ ذلك غير كاف للإحاطة بكل النماذج الدلالية) .

- مبحث الاشتقاق عند الإمام السهيلي .
- اللغات الواردة في كتاب الروض الأنف.
- تعقبات الإمام السهيلي على بعض الأحكام اللّغوية .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كان هذا التطواف والتجوال داخل مرج الإمام السهيلي ، الذي تنوعت ثمرته وفوائده ذات الدلالات المعجمية والمتعلقات المعرفية ، التي قرنت بين أصول العلوم الكلية ، والمعارف الجزئية ، بله رحابة المعاني وسماقتها .

قائمة المراجع :

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

- بالنثيا، آنخل جنثالث ،(2006)، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقلة عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة ، مصر ، مكتبة الثقافة الدينية .
- البخاري، محمد بن اسماعيل،(1987) ،الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا ، بيروت ، لبنان، دار ابن كثير .
- الزركلي، خيرالدين ،(2002 م) الأعلام ، بيروت ، لبنان، ،دار العلم للملايين
- ابن حنبل، أحمد ،(2001)، المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بيروت ،مؤسسة الرسالة .
- الطناحي، محمود محمد ،(1985) ، الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، القاهرة ، مصر ، مكتبة الخانجي.
- يوخنا مرزا الخامس ،(2007)، الموضوعات النحوية في كتاب الروض الأنف للسهيلي ، مجلة المورد العراقية، المجلد 34 ، العدد الأول ، ص 48 – 75
- ممدوح، شعبان محمد موسى ،(2011)، الروض الأنف في تفسير السّيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي ، دراسة صرفية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، مصر .
- ممدوح ،شعبان محمد موسى ،(2017)، الروض الأنف في تفسير السّيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي ، دراسة نحوية رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، مصر .
- مصطفى ، أحمد محمد إسماعيل ،(2020) ، الاحتجاج القرائي في فكر السهيلي، دراسة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ، كلية اللغة العربية ، فرع جامعة الأزهر بالمنوفية ،العدد السادس، ص177 – 195 .
- النيسابوري، الحاكم ، (1990) ، المستدرك على الصحيحين ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، لبنان ،دار الكتب العلمية.
- السهيلي، أبو القاسم ،(1412)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، بيروت ، لبنان ،دار إحياء التراث العربي.
- السهيلي، أبو القاسم ،(2009) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ،علق عليه ووضع حواشيه مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، لبنان، دار الكتب العلمية.
- عبودي عمار ، نصار محمد حسين ،(1418 هـ)، تطور كتابة السيرة النبوية ، ، بغداد ، العراق، الثقافية العامة.
- عثمان، البشير بابكر الشريف ، (2019 م)، السهيلي وكتابه *الروض الأُنُف* "*دراسة* نحوية صرفية "، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الدراسات العليا ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا .
- عثمان ، البشير بابكر الشريف ، عبد الرحيم سفيان حامد ، محمد علي أحمد عمر ،(2019)، تصريف الأسماء ودلالتها عند السهيلي في كتابه الروض الأنف(دراسة صرفية دلالية) ، مقال بمجلة الدراسات اللّغوية والأدبية ، المجلد 20/ رقم2019/03 ؛ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا .
- القفطي ،جمال الدين،(1982)، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، مصر ، دار الفكر العربي ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية.
- أبو شهبة محمد بن محمد ، 2003 ، السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة ، دمشق ، سوريا، دار القلم ، 2 / 192
- ابن خلّكان، شمس الدين ،(1900)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق ،إحسان عباس ، بيروت ، لبنان دار صادر.
- خليفة ، حاجي ،(1941)،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، - بغداد ، مكتبة المثنى.
- الخزاعي، علي بن محمد(1419 هـ)، تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق إحسان عباس بيروت ، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)